الملخص باللغة العربية:

يُعتبر موضوع القدوة الاستعمارية من المواضيع التي شغلت اهتمام الباحثين في حقبات مختلفة، ولعل من أهم الأدلة على ذلك، أن قانون تنازل عن الاستعمار الفرنسي في الجزائر في أوائل الثورة الجزائرية حيث كان محاولاً في الثورة الجزائرية أسلف الاستعمار الفرنسي، كذلك فيبريري الذي أيضاً بدوره تنازل موضوع الاستعمار ولكن من منظور تربوي حيث يتم إضطهاد الآخر بهدف تحقيق أهداف ومصالح شخصية للمستعمير على حساب من يقوم بإضطهاده. وعلى هذا، إن الاستعمار الفكري والثقافي الذي يقوم بشكل كبير من خلال المساحة النفسية للفرد من اختراق أنواع الاستعمار، فهذا النوع من الاستعمار له آثاراً نفسية بعيدة المدى، وأخطر من الاستعمار السياسي. وبالتالي، إن حدوث ذلك ليس تحصيلاً حاصلاً بشكل فعلي من خلال حمل أفكار نمطية سلبية عن المستعمر؛ حيث من خلال اتصال المُستعمر المباشر بالمُستعمر، فإن ذلك يؤثر على حيز المستوى الإدراكي والمعرفي لدى المستعمر فيلعب دوراً في تكوين الأفكار النمطية عن الذات والآخر (المستكاوي، 2007).

وبالرغم من ندرة الأدبات التي تناولت هذا الموضوع بصدور التركيز على توجهات أفكار المستعمر، إلا أنه لم يكن هناك أدبيات تتناول موضوع القدوة الاستعمارية في سياق لا يزال فيه هذا الموضوع قابلاً بعد ذاته، فأغلب الدراسات تناولت المجتمعات تحت ظلّ ما بعد الاستعمار اليوم. ولعل من أهم الأمثلة على ذلك دراسة الخطاب الاستشريقي لـ إدوارد سعيد الذي يُعتبر من منظورين نظرية ما بعد الاستعمار، حيث أن الاستشراق أسوباً من أساليب السيطرة على الشرق وإحكام السيادة عليه وهذا في ظلّ خلق نماذج ثقافية جديدة، من خلال الأفكار والثقافات والتاريخ ومن ثم التوصل إلى أن العلاقة ما بين الشرق والغرب في أساسها مبنية على السيطرة والهيمنة. (Said، 1979) بينما في السياق الفلسطيني ما زال الظروف الاستعماري قائماً بعد ذاته؛ وهو ما يُحدّى ضرورة الدراسة للعلاقة الاستعمارية ما بين المستعمر والمُستعمر، وهو ما يعتبر امرًا جوهرياً مميزًا في هذه الدراسة.
وبالتالي، فإن هذه الدراسة تتناول الموضوع موضحةً أنَّه على الإنسان الفلسطيني كفرد ضمن وجوده في جماعة، وأنَّه أيضاً على تلك الجماعة. ففي الوقت الذي يتم إضطهاده فيه في ظل سياسة استعمارية، يؤدي به هذا السياق من خلال إتصاله المباشر مع ذلك المُستعمِر، أن يذوَّت اضطهاده ويدخله كفرد تارةً وتارةً بأن يذوَّته ويستدخله حين يمارس إضطهاده على من هو أضعف منه والذي قد يكون فردًا من جماعته. وهنا نكمن أهمَّية من أهم مهام الإنسانية لجميع، ورسالة من إهم رسائل حق علم النفس المجتمعِي؛ وهي إيجاد الوسائل والأساليب التي من خلالها قد يتم تحرير المُضطهدين وتحرير من يعانون معهم. (Nelson & Prilleltensky, 2005)

وبناءً عليه، ومن خلال هذه الدراسة قامت الباحثة بالإستناد على منهجية البحث الكيفي، وذلك من خلال القيام باتباع المقابلات النوعية كأداة بحثية مع (18) مشارك من الشباب الفلسطيني العامل في القدس. وقد تم تسجيل هذه المقابلات وتغريدها حريفيًا؛ حيث تم الاعتماد في تحليل البيانات وفقًا لمنهجية النظرية المجذرة (Grounded theory) وأدواتها بشكل محوري وأساسِي؛ وهذا يُكوِّن النظرية المجذرة منهجية استغرافية (Inductive) في البحث الكيفي، والتي تمعن بالدرجة الأولى على الوصول إلى القضايا المشتركة بين المشاركين، ومن ثمّ دمج هذه القضايا وهو ما يؤدي إلى تشكيك محاور ومفاهيم نظرية ذات قيمة علمية. (كارميل، رودس، ورادلي، 2007).

وقد اتضح بي ما من النتائج والتي تمثلت كما يلي:

المحور الأول: العامل الاقتصادي (استخدام الهزيمة الطبيعية) حيث أن هناك إجماعًا على الشعور بصعوبة الوضع المعيشي في القدس؛ بسبب عدم توفر فرص العمل، وزيادة الأعباء والمسؤوليات الحياتية.

6
المحور الثاني: الهوية الوطنية؛ الشعور بضرورة الإلتزام بالهوية الفلسطينية والثقافة العربية
وهو ما يتمثل بالفخر والاعتزاز بالإتمام إلى هذه الثقافة.

المحور الثالث: التناقضات الموجودة لدى المستعمر؛ الشعور بضرورة إتخاذ بعض الإعتبارات الموجودة في السياق الإستعماري وذلك من أجل الحفاظ على المصلحة الشخصية، ولكن دون التخلّي عن الهوية الوطنية والثقافية، مقارنةً مع بقية الشعب الفلسطيني في الضفة.

يتضح من خلال المحاور السابقة أن الشباب الفلسطيني العامل يعيش حالة من التذبذب، والتأرجح ما بين حاجته لتحقيق متطلبات ظروفه المعيشية، وما بين حاجته لمسايرة الظرف الإستعماري الذي يقيع أسفله. وفي نفس الوقت، شعوره بالإلتزام تجاه ثقافته ووعويته الفلسطينية. وبالتالي فإن محاولة فهم ما يحدث لهذا الشباب في ظل الحالة الإستعمارية، يتطلب الدراسة المعقدة لهذه المحاور من أجل الوصول إلى تفسير علمي وهو ما تقوم به الدراسة الحالية.